البحث (٢)

سحاباتُ سوداءُ تغشي أقمارَ الأمَّةِ الإسلامية

أ . د شحات حسيب الفيومي

وكيل الكلية

سحابات سوداء (١) تغشي أقمار الأمة الإسلامية

عواطف وصرخة استغاثة :

كل أمة تعض بنواجذها على تاريخ علمائها . فتعتبرهم مصابيح هديٍ لدروب حضاراتها وتعتز بهم . وشعوب هذه الأمم يعرفون ميلاد هؤلاء العلماء . ويتذكرون مواقيت رحيلهم عن الدنيا . فهم في سماء هذه الأمم رموز يقدسونهم . ولا يسمحون لجاهل أن ينال منهم . وهذه طبائع الأمم البشرية . فهي تفخر بتاريخها ووجودها . ولا غرو فهؤلاء العلماء رواسي شامخات شيدت عليها صروح حضارات وأقوالهم تتردد على ألسنة الأجيال . فيرويها جيل عن جيل . فهم في ضمائر شعوبهم . يكرّمونهم بإطلاق أسمائهم على الشوارع والميادين والمدارس وقاعات العلم . فيخلدونهم بعد رحيلهم .

أما هذه الأمة ففيها قطاع كبير كرهوا طبائع الأمم . وبثوا أفكارهم في كثير من الشباب . وحفظوا كلمات دون أن يعوها ويدركوا مراميها : هذا بدعة ، هذه زندقة – هذا كفر – هذا منافق – هذا علماني – هذا الإمام أختلف معه – هذا حديث ضعيف – ومما تردد على ألسنتهم " أبو حنيفة لا يُعتَدُّ برأيه لأنه يأخذ بالقياس دون الكتاب والسنة . ومما قاله أزهري في مسجد يؤمُّه : أختلف مع الشافعي وعندي الأدلة على أخطائه . ويعلم الله أني سألت هذا الولد في معني "إلاَّ" فلم يعرف أنها أداة

---

(١) سحابات تتكون من ثاني أكسيد الكربون السام وغبار وملوثات معها ماء فتحمل مطرا حمضياً فإذا نزل على النبات والأشجار أحرقها .

استثناء.وهي معلومة لتلميذ . الفرقة الخامسة من التعليم الابتدائي . وقال بين صلاة التراويح في رمضان سنة أربع وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة . قال " لقد قال السيد سابق في كتابه " فقه السنة " كلاماً ما أنزل الله به من سلطان . أيصل الأمر إلي هذا الحد أن الجهلاء يتطاولون على العلماء . أما عن الشافعي الذي يقول هذا الولد فيه : أختلف معه لقد قال الشافعي رحمه الله:

ولولا الشِّعرُ بالعلمـــاء يَزري

لكنتُ اليـــومَ أشعرَ من لبيد

وأشجعَ في الوغيَ من كل ليث

وآل مَـــهلَّـــب وبنـــي يزيد

ولو خشـــيـــةُ الرحمن ربّـــي حَسِبتُ الناس كلهم عبيدي (١)

ما قال هذا الكلام الشافعيُّ إلا عندما عرف نفسه . وكَبَح جماح نفسه مخافة من الله عز وجل كُرها في نفخة الكبر . ولا تعليق إلا أن أقول صدق الشافعي . فهذا الجاهل لا يرقي إلي درجة عبد يملكه الإمام الشافعي . لأن هناك عبيدا يعرفون منازل أسيادهم . وبالنسبة للشيخ / السيد سابق فهذا الولد لا يقدر أن يقرأ سطراً من كتاب " فقه السنة " بلغة عربية صحيحة . ويدل على ذلك . أنه يقول إنه كتب كلاماً ما أنزل الله به من سلطان . ومما زاد أسفي ما أخبرني به المطَّلعون على " الانترزفت " ليس هذا خطأ مطبعياً فلقد رأيت على شاشته كتاباً هو " فضائح الصوفية "

---

(١) ديوان الشافعي ص ٧٣ تحقيق د / عبد المنعم خفاجي .

تطاول مؤلفه على شيخ الإسلام سيدي عبد الوهاب الشعراني . بأسلوب يَنِم عن صدر مؤلفه . وشتم السيد البدوي .

وفي موقع آخر تعرّض اثنان للبوصيري لاتمين الرجل على بردته واتهموه بالزندقة وسبوا الرجل بما لا يليق بالمسلمين . وعند الحديث على الرد على هؤلاء سأسوق كلامهم . لقد مرت تلك السحابات السود على بلدنا وقُري مركزنا وتنشأ هذه السحابات من مستنقعات مترعة بالضفادع والطحالب فماؤها ليس صافياً فإذا حلّ الليل واعتري الغمامُ شمسَ الأزهر انبعث نقيق الضفادع يدوي في سكون الليل فيؤذي الآذان ويبعث التوتر في مشاعر الناس . حتى إذا صاح عاقل خمدت تلك الأصوات . وصلت هذه السحابات التى جمعت ملوثّات البيئة ولا تمطر إلا ودقا حمضيا ينزل على كل أخضر فيحرقه

سمع علماء بلدتنا عن ما تُحدثه تلك السحاباتُ في الناس وفي ليلة جمعة من شهر شوال طُرِق بابُ بيتنا فكانت المفاجأة أصحابُ الفضيلة : " الشيخ عبد السلام الدهشان و " الشيخ / محمد عبد التواب الضليل " " والشيخ قطب الشيخ ومعهم الشيخ الورع " محمود أحمد حماد " . شكوا إليَّ ما تموج به أشمون . فالشيخ الدهشان يعمل في مجال الدعوة من أربعين سنة وبقية هذه الكوكبة عمداء معاهد أزهرية في مركز أشمون . والشيخ حماد يعمل في تفتيش اللغة العربية بالتربية والتعليم بالقليوبية .

ولقد جمعني ببعضهم " كتّاب " الشيخ خليل أبو شنب رحمه الله تعالي .

احتد المشايخ عليّ وعاتبوني على صمتي حيال هذه السحابات التى تجمعت في سماء مدينتنا . فقلت أخجل أن أتكلم وفي بلدكم الشيخ حنفي الدناصوري وهذا الرجل ثاني اثنين لا أتكلم بحضرته والآخر هو شيخنا الشيخ " زكريا عبد الرءوف عثمان " أطال الله لنا في عمره ونفعنا بعلمه . قال هؤلاء الأجلاء : إلي متي هذا الصمت ؟ أليس مملا ؟ قلت : بلي.وجال بخاطري بيتين للفيلسوف محمد إقبال " الباكستاني "

فإلي متي صمتي كأني زهرة

خرساء لم ترزق براعة منشدي

فيثارتي ملئت بأنات الجوي

لابــد للمكبــوت من فيضـــان

نعم أصمتُ كصمت إقبال . بيد أنني بداخلي بركان ثائر . واستمعت لرفقاء دربي في الأزهر وأحترمهم لأن لهم فضل السبق في كعبة العلم في مصر .

فجرّ الرفقاءُ قضايا : هي المكونة لتلك السحابات وهي قضايا مثيرة وصلت إلي مسامع الناس . فاقتحمت أذهان العامة . واستوطنت عقولهم . والذين يرددونها لا يعرفون الفرق بين الركن والسنة ولا الهيئة ولا يعرفون الفرق بين الفرض والشرط ولا الواجب ولا يعرفون الفرق بين الكراهية التنزيهيه والتحريمية

وهذه القضايا أعرفُ سجيَّةً وطبيعةً من أثاروها فهي شنْشنةٌ أعرِفُها مِنْ أخزَم [١] وأظن أن هذه الأفكار بنات أفكار لطوائف لم تنبت في مصر بل أفكار حملها أناس من مواطنها وطفقوا يبثونها في مجتمعنا الذي تربي على أيدي علماء الأزهر ومن ذكاء هؤلاء أنهم يصوِّبون سهام الطعن إلي الأزهر وإلي علمائه وشرعوا يجرِّحون خطباء المساجد ووجدوا ضالتهم المنشودة في جيل تخرَّج من جامعة الأزهر يحمل شهادة ولا يحمل جَعْبَةً فيها أزودة الخطيب . ولن يدوم هذا الحال طويلاً إن شاء الله فهي كبوةَ من جيل أزهري . وعثرة في آدائهم وسينشطون ويفيقون من كبوتهم وسينطلقون بعد عثرتهم .

وأتناول تلك القضايا التى شكلت سحابات خيمت على حياتنا الفكرية والدينية .

القضية الأولي : القَدْحُ في الإمام الأعظم أبي حنيفة

كنت ألقي محاضرة في بلد تابعة لمركزنا وكانت في ليلة من الليالي الخمس الأخيرة من شهر رمضان وسئلت عن صحة إخراج قيمة الحَبِّ في صدقة الفطر . فقلت هذا جائز وقال أحد المتنطعين مَنْ قائلُ هذا القول ؟ قلت : الإمام أبو حنيفة . فقال هذا مخالف للسنة . فقلت له الإمام لم يخرج عن إطار السنة فيا أخي : أخرج حبًّا ولا نجبرك على القيمة والذي يخرج القيمة

---

(١) هذا مثل عربي لرجل كان له ولد عاق وكان اسمه " أخزم " مات هذا الولد وترك أولاداً كانوا يضربون جدهم فقال " شنشنة " بكسر الشين الأولي والثانية بمعني " طبيعة " لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٤٦ .

فصدقته صحيحة بل القيمة في عصرنا أفضل للفقير والمسكين فإن أعطيته قمحاً فإنه يغسله ويجففه ويذهب لطحنه ويعجنه ويكلف لخبزه فإن أُعطي القيمة اشتري خبزاً من أي مكان فإعطاؤه الحبّ فيه مشقة للفقير وإعطاؤه القيمة يكون أيسر له ويا أخي أعط حبًا وغيرك يعطي قيمة فيأكل الفقير الحب ويشتري كساء بالقيمة وأطلق الولد كلمة لم أكن أتوقعها قال " أبو حنيفة لا يعتد برأيه " قلت له ما عملك ؟ قال " طالب في كلية التربية . قلت له مَنْ قال هذا القول الذي أطلقته على الإمام أبي حنيفة قال : الدكتور / محمد سعيد رسلان . وهو يحضّر لدرجة الدكتوراه في جامعة المنوفية .

ما الذي نقوله ؟ أقول قال الإمام أبو حنيفة وهذا يقول " محمد سعيد رسلان " لا خير في بلد يقال فيها هذا القول . وسأسوق حديثاً عن الإمام أبي حنيفة حتى يكون الحديث شمسا تذيب هذه السحب السوداء .

المصر الذي نشأ فيه أبو حنيفة :

نشأ الإمام في العراق الذي تناوب عليه الغاصبون المحتلون من أجناس مختلفة وآخر هؤلاء الطغاة الأمريكيون الذين احتلوا هذا البلد طمعاً في بتروله ويكون قاعدة يُحكمون منها السيطرة على منابع البترول الأخرى في الخليج العربي . ونجح الاحتلال الأمريكي الذي يدعمه الإنجليز . والعالم العربي والإسلامي يعانيان من هذا الاحتلال ومن الهيمنة الأمريكية الآن .

بغداد في عهد أبي حنيفة :

" قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي : قال لي الشافعي : هل رأيت بغداد ؟ قلت : لا . فقال ما رأيت الدنيا . وقال الشافعي : ما دخلتُ بلدا قط إلا عددته سَفَراً إلا بغداد فإني حين دخلتها عددتها وطنا . وقال : بعضهم : الدنيا بادية وبغداد حاضرتها . وقال ابن عُلَيّة : ما رأيت أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد ولا أحسن دعة منهم . وقال ابن مجاهد : رأيت أبا عمرو بن العلاء في النوم . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : لي دعني من هذا . من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نُقل من جنة إلي جنة . وقال : أبو بكر بن عياش : الإسلام ببغداد وإنها لصيَّادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا . وقال أبو معاوية : بغداد دار دنيا وآخرة . وقال بعضهم من محاسن الإسلام يوم الجمعة ببغداد . وصلاة التراويح بمكة ويوم العيد بطرسوس . قال الخطيب : من شهد يوم الجمعة بمدينة السلام عظم الله في قلبه محل الإسلام لأن مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد في غيرها من البلاد . وقال بعضهم كنتُ أواظب على الجمعة بجامع المنصور . فعرض لي شغل فصليت في غيره . فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول : تركت الصلاة في جامع المدينة وإنه ليصلّي فيه كلّ جمعة سبعون وليّا . وقال آخر : أردت الانتقال من بغداد فرأيت كأن قائلاً : يقول في المنام أتنتقل من بلد فيه عشرة آلف وليّ لله عز وجل . وقال بعضهم : رأيت كأن ملكين أتيا بغداد فقال : أحدهما لصاحبه : اقلبها . فقد حق القول عليها : فقال الآخر كيف أقلب . ببلد يختم فيها القرآن كل ليلة خمسة آلاف ختمه ؟ وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد

العزيز بن سليمان ابن موسى . قال : إذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقياً وصلاته شامية فقد كمل " (١)

عاش الإمام أبو حنيفة في هذا المصر وكانت الإقامة فيه . وكان يتقلب في ربوعه .

صفة الإمام أبي حنيفة وشهادة العلماء فيه :

" هو الإمام أبو حنيفة واسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام وأحد أركان العلماء وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة وهو أقدمهم وفاة .

قال يحيي بن معين كان ثقة . وكان من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبي أن يكون قاضياً . وقد كان يحيي بن سعيد يختار قوله في الفتوى . وكان يحيي يقول : لا نكذب الله . ما سمعنا أحسن من رأى أبي حنيفة . وقد أخذنا بأكثر أقواله . وقال عبد الله بن المبارك : لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس . وقال في الشافعي : رأيت رجلاً لو كلّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته : وقال الشافعي : مَنْ أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة . ومن أراد السِّيَر فهو عيال علي محمد بن إسحاق . ومن أراد الحديث فهو عيال على مالك . ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان . وقال عبد الله بن داود الحر : ينبغي

---

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٠٢ مكتبة المعارف – بيروت .

للناس أن يدعوا في صلاتهم لأبي حنيفة لحفظة الفقه والسنن عليهم .

وقال سفيان الثوري وابن المبارك : كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه .

وقال : أبو نعيم : كان صاحب غوص في المسائل .

وقال : مكي بن إبراهيم : كان أعلم أهل الأرض " (١) .

شيوخ الإمام أبي حنيفة :

أدرك أبو حنيفة عصر الصحابة ورأي أنس بن مالك . قيل ورأى غيره وذكر بعضهم أنه روي عن سبعة من الصحابة فالله أعلم. وروي عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحمّادبن أبي سليمان وسلمة بن كهيل وعامر الشعبي وعكرمة وعطاء وقتادة والزهري ونافع مولي بن عمر ويحيي بن سعيد الأنصاري وأبي إسحاق السبيعي (٢) .

تلاميذه :

روي عنه جماعة منهم ابنه حمّاد وإبراهيم بن طهمان . وإسحاق بن يوسف الأزرق وأسد بن عمر والقاضي،والحسن بن زياد اللؤلؤى وحمزة الزيات وداود الطائي وزفر وعبد الرزّاق

---

(١) انظر البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٠٧ .

(٢) المرجع السابق .

وأبو نعيم ومحمد بن الحسن بن الشيباني وهيثم ووكيع وأبو يوسف القاضي [١] .

علاقة أبي حنيفة بربه :

" روي الخطيب بسنده عن أسد بن عمرو أن أبا حنيفة كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في كل ليلة . ويبكي حتى يرحمه جيرانه.ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين ألف مرة وكانت وفاته في رجب من هذه السنة أعني سنة خمسين ومائة وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين.وقال غيره سنة ثلاث وخمسين والصحيح الأول " [٢] .

ولا يستبعد أحد ذلك على عابد من العباد فإن هذا بتوفيق الله فمن أراد الله له التوفيق سهّل له العبادة وكانت في ميقات قصير ومن لم يحالفه التوفيق فصلاة ركعتين ثقيلتان كالجبل . وعشر تسبيحات ثقيلات على النفس . لا يقدر غير الموفق على النطق بها. فإبليس له بالمرصاد .

وبالنسبة لأبي حنيفة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم

تَقَلُّبُ أبي حنيفة في مجالس العلم واختلافه عليها :

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

ولد الإمام أبو حنيفة سنة ثمانين للهجرة وكان أبوه وجدُّه من موالي تيم فسمي باسم ملك من ملوك العراق " النعمان بن المنذر " لم يتلق العلم في مدرسة ولا في جامعة وإنما دخل المسجد الجامع . وتخرج منه . فعاش أبو حنيفة طفولته المبكرة التى صادفت سفّاح بني أمية الحجاجَ بن يوسف الثقفي والىّ العراق للخليفة عبد الملك بن مروان الذي اشتهر بالبطش وقتل العلماء . ولما يفع أبو حنيفة كان الحجاج جبّارُ الأرض قد قبضه إليه جبار السماء . فرحل عن الدنيا تاركاً وراءه في الدار الفانية أحاديث مآسيه التى يرويها كل جيل عن جيله السابق [١] .

مخايل النجابة تسطع في وجه أبي حنيفة :

لاحت على الحدث الناشئ مخايل النجابة وعرفها الناس فيه . وتحدث الناس بها . حتى بلغ حديثها قاضي الكوفة وزعيم محدثيها في عصره الإمام الشعبي . فلما مر به يوماً دعاه قائلاً إلي من تختلف ؟ قال : أختلف إلي السوق . وسمي له أستاذه في السوق .

قال الشعبي لم أعن الاختلاف إلي السوق بل عنيت الاختلاف إلي العلماء . قال : " إني قليل الاختلاف إليهم " قال الشعبي عليك بالنظر في العلم ومجالسه . فأني أري فيك يقظة وحركة . ووقع قول الشعبي في قلبه موقع الرضا . وترك الاختلاف إلي السوق . وأخذ في العلم منه حداثته الباكرة .

---

(١) انظر كتاب " أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام " ص ١٠ ، ١١ للأستاذ / عبد الحليم الجندي بتصريف .

وبدأ أبو حنيفة يَرِد نهر علم الكلام . وهو علم التوحيد . وهو العلم الذي يبحث في الإلهيات والنبوات والسمعيات وما يتبع ذلك . فهو علمُ التشريح الفكري . ولم يَدَعْ فيضُ الفتوة النعمان على حاله . بل دفعه إلي الأسفار في سبيل العلم . فكان يرحل بين البصرة والكوفة . حتى لمع في علم الكلام . وبلغ فيه شأوا بعيداً

قال أبو حنيفة : " كنتُ أُعطيتُ جدلا في الكلام . وأصحاب الأهواء في البصرة كثير . فدخلتها نيفا وعشرين مرة . وربما أقمتُ بها سنة أو أكثر . أو أقلَّ ظنًا أن علم الكلام أجلُّ العلوم " . ولكن ماركِّب في أبي حنيفة من عقل عملي كان حقيقاً أن يغيِّر مجراه وأن يهديه إلي طريقته المثلي . وللمتجادلين أغلوطات تتجافي أحياناً مع القصد والنصفة . وخليق بمثل أبي حنيفة أن ينصرف إلي ما ينفع الناس فهَجَر ميدان المتكلمين . وانضم إلي الفقهاء . ولقد قال " فلما مضي مدةٌ من عمري تفكَّرت وقلت : السلفُ كانوا أعلم بالحقائق ولم ينتصبوا مجادلين . وخاضوا في علم الشريعة ورغبوا فيه . وعلموا وتعلموا وتناظروا عليه . فتركتُ الكلام واشتغلت بالفقه ورأيت المشتغلين بالكلام ليس سيماهم سيماء الصالحين . قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم " [1] .

شيخة في الفقه :

اختار أبو حنيفة شيخه أبا إسماعيل حماد بن سليمان العكلي . وانخرط الفتي في سمط التلاميذ يحفظ مسائل الفقه . ويعيدها

---

(١) المرجع السابق .

في الغداة فيخطئ الحفاظُ من زملائه ويصيب . ويسكت التلاميذ ويسأل هو ويلح في الجدال . حتى ليحمار وجه حماد . لكن حمادا يدرك مواهب تلميذه من عمق أسئلته .

وأحبَّ حمادُ أبا حنيفة أكثر من ولده . وأحبَّه أبو حنيفة حتى سمَّي ابنه حماداً . على اسم شيخه . واستمر أبو حنيفة ملازماً لشيخه ثماني سنوات .

وفي سنة عشرين ومائة من الهجرة . صعدت روح حماد إلي بارئها . واجتمع الناس إلي ولده إسماعيل . فلم يجدوا عنده ما كانوا يجدونه عند أبيه . وبعد مدة جلسوا إلي أبي حنيفة . وطفق يعلّم المسلمين . فيطلق الفتوى فيصل صداها إلي المسجد الحرام بمكة ويدخل نسيمها المسجد النبوي بالمدينة . ويتسلل شذاها إلي المسجد الأقصى . ويلف أريجها أقطار الأمة الإسلامية

ذكاء أبي حنيفة في فتاويه :

لم تكن حركة أبي حنيفة الفكرية في قالب من جبس . ولم تكن مغلولة تقف في مكانها . بل كانت تتحرك في ميادين واسعة هي القرآن والسنة الإجماع والقياس . ولا يتحرك في هذه الميادين إلا رجل صاحب ذكاء وقّاد وقريحة واعية وترى ذلك في بعض هذه النماذج الآتية :

أولاً : مسألة في الطلاق :

أتي رجل أبا حنيفة ليلاً . فقال له أدركني قبل الفجر . وإلا طلّقت امرأتي

قال : وما ذاك ؟ قال : تركتُ زوجتي الليلة كلامي فقلت لها إنْ طَلَعَ الفجرُ ولم تكلميني فأنت طالق ثلاثاً . وقد توسلتُ إليها بكل أمر أن تكلمني فلم تفعل . قال الإمام اذهب فمر مؤذن المسجد أن ينزل فيؤذنَ قبل الفجر . فلعلها إذا سمعته أن تكلمك . واذهب إليه وناشدها أن تكلمك قبل أن يؤذن المؤذن . ففعل الرجل وجلس يناشدها وأذّن المؤذن . فقالت الزوجةُ طلع الفجرُ وقد تخلّصت منك . قال قد كلمتني قبل الفجر وتخلّصتُ من اليمين [١] .

ثانياً : إنقاذه لمدرسته من القتل والهلاك :

اقتحم الخوارج [٢] مسجد الكوفة في إحدى غاراتهم عليها . وأبو حنيفة وأصحابه جلوس فقال لأصحابه : لا تبرحوا المكان فجاءوا حتى وقفوا عليهم . وقالوا لهم ما أنتم ؟ قال الأستاذ الإمام : " نحن مستجرين " قال أمير الخوارج المغيرين دعوهم وأبلغوهم مأمنهم . واقرأوا عليهم القرآن . فقرأ عليهم القرآن وأبلغوهم مأمنهم . وبهذه البديهة المسعفة سلمت مدرسة أبي حنيفة من خبطة معسفة وهكذا جرت على لسان أبي حنيفة تلك الوثبة الفكرية الباهرة من وثبات الارتجال . وجرت في خلد أمير الخوارج نسمة من نسمات التفتح الروحي . وتذاكر المتحاوران في صمتٍ قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ

---

(١) " أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح " ص ١٠٧ بتصريف .

(٢) الخوارج طائفة من المسلمين يقولون مرتكبُ الكبيرة كافر ومخلّد في النار وسُمُّوا بالخوارج لخروجهم على الإمام عليّ بن أبي طالب .

فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [١] . وسما الخوارج عن سفك الدماء وسما أبو حنيفة عن أن يقول " إنهم مشركون " مع أنهم في نظر الخوارج مشركون . كما قالها زعيم المعتزلة واصل بن عطاء إذ همّ الخوارج برأسه فعصم منهم رأسه ونفسه بهذا القول.أما أبو حنيفة فلم يقل : إنهم مشركون [٢]

ثالثاً : أبو حنيفة يلقم الخوارج الحجر :

جلس الإمام في وقاره يخرج منه اللؤلؤ . وتحلّق تلاميذه في حلقتهم كأن على رءوسهم الطير . وخُشّعاً قلوبهم . عالقةً قلوبهم بالإمام يديرون المسائل في عقولهم وألسنتهم . ويتكلم الشيخ فإذا تكلم صمت الجميع كأنه ليس في المجلس أحد . قال عنه زفر " إذا تكلّم خُيِّلَ إليك أن مَلَكاً يُلَقِّنُه ما يقول " [٣] .

وفي محراب أبي حنيفة هذا . دخل عليه وعلى تلاميذه طائفة من الخوارج شاهرين السيوف فقالوا يا أبا حنيفة . نسألك عن مسألتين : فإن أجبتَ نجوت . وإلا قتلناك . قال : أغمدوا السيوف فإنّ رؤيتها تشغل للقلب . قالوا نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في قلبك . قال : سلوا إذَنْ :

قالوا : جنازتان بالباب : إحداهما : لرجل شرب الخمر حتى ثمل فمات سكران .

---

(١) سورة التوبة الآية رقم : ٦ .

(٢) " أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح " بتصريف .

(٣) المرجع السابق .

والأخرى : امرأة زنت وحملت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة .

أهما مؤمنان أم كافران ؟

فسألهم : من أي فرقة كانا ؟

منَ اليهود ؟ قالوا : لا .

قال : منَ النصارى ؟ قالوا : لا .

قال : منَ المجوس ؟ قالوا : لا .

قال : ممنَّ كانا ؟ قالوا : من المسلمين .

قال : قد أجبتم .

قالوا : هما في الجنة أم في النار ؟

قال : أقول فيهما ما قاله من هو خير مني فيمن هو شر منهما . وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (١) وأقول كما قال عيسى عليه السلام : ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (٢)

فنكَّسوا الرءوس فلقد أخرسهم أبو حنيفة بحجته الباهرة (٣) .

---

(١) سورة إبراهيم الآية رقم : ٦ .

(٢) سورة المائدة الآية رقم : ١١٨ .

(٣) المرجع السابق .

رابعاً : قَضيَّةُ أم عِمران التى تورّط فيها القاضي ابن أبي ليلي :

هذه القضية وقعت بالقرب من حلقة أبي حنيفة وشهد وقْعَتها طلابُ الحلقة فلقد عاينوا المحاكمة ثم نقلوا القضية إلي الأستاذ الإمام الفقيه بعد أن جلس كل واحد منهم في مكانه من الحلقة .

فلقد كان بأمّ عمران جنون وكانت بإزاء جامع الكوفة فمر بها رجل فتناولها : فقالت أُمُّ عمران للرجل : يا ابن الزانيين وكان القاضي ابن أبي ليلي في المسجد قد سمع القذف والسب فأمر أن تُدخَل أُمُّ عمران المسجد وأقام عليها حدَّيْ قذف حدًا لوالد الرجل وحدَّ الأُمه .

وعرف تلاميذ أبي حنيفة الواقعة ولا سيما وهم على بُعد أذرع من المحكمة في المسجد الجامع . ووضع التلاميذ القضية أمام الإمام . وقلَّب الأستاذ الأمور . إذ ردَّ قضاء القاضي إلي الأصول . وغاص الأستاذ في أعماق علمه وأخرج هذه اللآلئ وقال :

أخطأ ابن أبي ليلي في ستة مواضع :

الأولي : أقام الحَدَّ في المسجد ولا تقام الحدودُ في المساجد

الثاني : ضرب المرأة وهي قائمةً والمرأة يقام عليها الحدُّ وهي جالسة .

الثالث : ضرب لأبيه حدًا ولأُمّه حدًا ولو أن رجلا قذف جماعةً كان عليه حدٌّ واحد .